

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

ثقافة الحوار عند الأمير عبد القادر الجزائري على ضوء مراسلاته

The Culture of Dialogue for Prince Abdul Qader Al-Jazaery in the Light of His letters

محمد سرير، *serir mohammed*

جامعة يحيى فارس بالمدينة،

Yahia Fares University Medea,

serir.mohamed@univ-medea.dz

تاريخ القبول : 2021-10-20

تاريخ الاستلام: 2021-10-07

الملخص:

تعتبر شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من الشخصيات العالمية التي حظيت بعقول وقلوب الكثير من المفكرين والأدباء، أعطى دروسا في الشجاعة والسلام والتسامح مع بني جلدته ومع العدو، من هنا كان هدف الأمير العمل على تحرير الجزائر وضمان استقلالها، هذا ما دفعه إلى استعمال لغة الحوار المبنية على التفاوض مع المستعمر، فكل يريد مصلحته ومصلحة شعبه، لذا وجب التفاوض لجلب أكبر المكاسب، ودفع أكبر الأضرار، وللحوار تقنيات وأساليب لا يفلح فيها إلا من جرب معارك الحياة وخبر خبايا الأنفس وتمتع ببعد نظر.

الكلمات المفتاحية: حوار، ثقافة، الأمير عبد القادر، رسائل.

Abstract:

The personality of Prince Abdul Qader Al-Jazaery is considered one of the international personalities that has won the minds and hearts of many thinkers and writers. He gave lessons in courage, peace and tolerance with his people and with the enemy. Thus, the prince's goal was to work on liberating Algeria and ensuring its independence. This is what prompted him to use The language of dialogue. He negotiates with the colonizer for, the interest of his people, so it is necessary to negotiate to bring the greatest gains and pay the greatest damages, Dialogue has techniques and methods that only those who have tried life's battles and experienced the secrets of souls and enjoyed foresight will master.

Keywords: Dialogue, culture, Amir Abdul Qadir, letters,

مقدمة:

والحكمة تتطلب عدم الاستهانة بالخصم وعدم التسرع في الحكم والنظر في الأمر من مختلف جوانبه وتمحيصه بكل معطياته السياسية والاجتماعية والدينية وحتى الاقتصادية، من هنا حاولنا تلخيص هذه الثقافة في مجموعة نقاط هي كالآتي.

يعتبر الأمير عبد القادر من أبطال الدولة الجزائرية وأبرز أعلامها الذين دافعوا عنها بكل ما أوتي من قوة مستعملا في ذلك قوته الروحية المتمثلة في العلم والدين كما اعتمد على قوته الجسدية والمادية المتمثلة في العتاد والسلاح. كما تمتع الأمير بثقافة موسوعية سمحت له بالاطلاع على مختلف العلوم الدينية والفلسفية والسياسية، علم أن العيش تحت رحمة الاستعمار أمر مرفوض ومنبوذ كما علم أن التغلب عليه ليس بالأمر السهل، فعمد إلى الحكمة والعقل وتوكل على الله في محاربة هذا العدو فرأى في الجهاد أمرا لا بد منه والوطن لا يستقيم ولا تقوم له قائمة إلا بالحرب الذي يضمن عزة النفس وكرامتها وتحقيق الهوية الجزائرية الإسلامية.

1- أدب الاستفتاح:

ثم يحول الخطاب إلى المرسل إليه ليخاطبه بمرتبته الرفيعة، وكما نسب الأمير لنفسه المرتبة الدينية ينسبها أيضا للطرف الآخر، "عظيم القسيسين والرهبان" ثم يذكر له مرتبته العسكرية ليؤكد له حسن نيته، فالأمير متقبل للآخر غير رافض له عازم على محاورته لأنه يدرك أن هذا الحوار هو خطوة أساسية ومكملة لتحقيق هدفه المتمثل في تحرير الجزائر، رغم أن الطرف الآخر مخالف له في العقيدة، بل يعتبر عدوا له، لكن العقل والحكمة تستدعي المحاورة لأن ((الحوار القائم على إلغاء رؤية الآخر وعدم الرضى بها أو قبول المناقشة فيها يؤكد مفهوم الهيمنة لطرف على آخر، بل إنه يقتل القيم الخلقية الإنسانية التي تقوم عليها معايير الحوار وقواعده، فإدارة الاختلاف بين الدول والشعوب تعتمد الحوار العاقل والهادئ واستيعاب ثقافته))²

كما يقول في استفتاح آخر: ((الحمد لله عل سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله امين، إلى غاية ودنا عظيم الجيوش الفرنسية بوهان الجنرال دي ميشيل السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته واحسانه وتحياته وبعد))³.

نلمس في هذا الاستفتاح شهما مع الأول إلا أننا نجد زيادة في قوله "إلى غاية ودنا" يريد الأمير ملاطفة الجنيرال وتأكيد مبدأ الصدق والوفاء، فهو يدرك أن من أساسيات الحوار الثقة المتبادلة المبنية على المودة والاحترام، هذا ما يركز عليه الأمير في خطابه، كما أنه تحقق الوصول إلى ما يريده من طرح قضيته للطرف الآخر، فهو مقتنع بما يطلب، وعنده أمل كبير في تحقيقه.

فالأمير يعمل على فهم مقصدية المرسل إليه، ووضعه في إطار يسمح له بالتأثير عليه حيث يعمل على نقل ((اللغة من المستوى الصوري إلى المستوى التداولي، ويغدو الخطاب عندها مؤشرا على كفاءته بالقدرة على التكيف مع محيطه))⁴، فالأمير قد وصل إلى مرحلة أدرك فيها حقيقة الحال، التي توجب الحوار بصفته مكملا للحرب القائمة، محاولا خلق جو تفاعلي بينه وبين المرسل إليه.

يعلم الأمير منزلة الخطاب الحوارى الناشئ بينه وبين الجنيرال الفرنسي، كما لا يخفى عليه هدف المخاطب وماذا يريد منه، من هنا كان تركيز الأمير على هدفين أساسيين في الخطاب المرسل، فقد تمثل الهدف الأول في تثبيت الدين الاسلامي الذي يراه أساس المقاومة والحياة لتكون بذلك أصول الدين الإسلامي هي القواعد الأساسية التي يبني عليها الخطاب، والهدف الثاني تمثل في استرداد الحقوق المسلوبة وأبرزها حق حرية الشعب الجزائري، ونستطيع القول أن هذين الهدفين لم يحد عنهما خطاب الأمير فقد عمل على الدفاع عليهما بشق وسائل الخطاب المتاحة له.

يبدأ الأمير بحمد الله تعالى ثم الصلاة والسلام على رسوله الكريم، رامزا إلى توجهه الديني، لينتقل بعد ذلك إلى تقديم نفسه والثناء عليها، ثم يعقب ذلك بذكر المرسل إليه مثنيا ومشيدا بخصاله يقول: ((الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده سيد البشر وامام الحشر وعلى آله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين المجاهد ذي الفخر السائد، العضب الباتر الأسد المبادر السيد الحاج عبد القادر، إلى عظيم القسيسين والرهبان كبير الجيوش الفرنسية بوهان ... حاكم جيوشها في الرئاسة والزعامة ديميشيل، السلام على من اتبع الهدى وسلك منهاجا رشدا))¹.

يبدأ الأمير بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله، فهما يمثلان بالنسبة إليه القوة الدافعة إلى القتال ومجابهة العدو، ثم يعرف بنفسه بصفته أمير المؤمنين وهي أعلى منزلة عند المسلمين، فهي رسالة للمرسل إليه ليؤكد مرتبة المرسل ثم يواصل بذكر صفات الشجاعة والاقدام، ونلمس أن هذا الكلام مطابق للمقام فهو يرسل قائد الجيوش الفرنسية في الجزائر ويريد افهامه بحقيقة الواقع المتمثل في أنه هناك شخصية تماثله في القوة وقد تفوقه بقوة ايمانها وصبرها.

2- إقامة الحجة والبرهان على القول

يهدف الأمير إلى إقامة الحجة على ديميشيل فيعمل على تذكيره بأنه رجل عاقل فطن، كيف به يبغض حق الشعب الجزائري، بل مكانة الجنيرال تفرض عليه المساعدة واعطاء كل ذي حق حقه.

يقول الأمير: ((ولما نظرنا جريدة الشروط وجدناك اعتبرت ما يصلح بك دوننا لكن نثق في جانبك أنك لم تتعمد خصوص المصلحة بك وكونك كبير القوم وعظيمهم الواجب في حقك أن يتناسب فعلك مع قولك ونحن رفعنا قدرك وعظمتناك ووفينا لك بما وعدناك وأنت سابق في الملك وملكننا جديد، لنا حق عليك أن تميزنا بشيء نختص به ضيافة منك وتتميمنا للألفة لكن لنا الرياسة من قديم الزمان حسبا ونسبا كابرا عن كابر))⁵

يوجه الأمير كلامه للجنيرال معاتبا إياه على اجحافه لحقوقهم، مستعملا أسلوب التلطف محاولا تذكيره بمكانته السياسية وما يفرضه عليه الواجب، من اهتمام بالآخر فالجنيرال أهل لتقدير الآخرين، خاصة إذا كانت هناك اتفاقيات تفرض على الطرفين تبادل الاحترام وحفظ الحقوق، ((ففعّل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميّه واستمراره))⁶، ويزيد الأمير من قوة خطابه فينسب قدم الملك للجنيرال وهذا ما يفرض عليه إقامة العدل، كما أن الأمير يفتخر بنسبه الممتد في التاريخ وهذا النسب يسمح له بمحاورة الملوك والمطالبة بحقوقه بكل قوة وعزيمة.

ويقول: ((وان أبيت إلا ان تستولي على جميع وطننا فنحن سنبدل كل ما في وسعنا في مدافعتها وحماية أرضنا منها إلى أن يقضي الله بيننا وبينها بما شاء، فان البلاد بلاداه والعبيد عبيده، ولا يخفى عليكم أيها الحاكم ان غزوكم لبلادنا سبب

قتل الكثير من جنودكم واتلاف ذخائركم وكذلك نحن وهذا شيء لا يرضى به عاقل فضلا عن فاضل، ودولتكم تدعي أنها أول دولة في العالم تحب الانصاف وتفضله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به، ففعلها هذا يكذب دعواها ويبطل ادعاءها))⁷.

يخاطب الأمير من منطلق واقعي ومنطقي، يقر بحقيقة الجهاد المفروضة على العباد، فالأرض أرض الله والعبيد عباد له وله حرية التصرف، والعبد في كل أحواله راجع إلى ربه، فما على العبد إلا العمل والطاعة حتى يفوز بقاء الله، لكن تحكيم العقل والمنطق يفرض النظر إلى واقع الحال، فالمستعمر ظالم ومستبد وجبت محاربته، لكن إذا ادعى الفضل والتحضر فهو إلى تحرير الناس أقرب من استعمارهم وظلمهم، من هنا كان خوف الظالم من العالم الذاكر المتفطن لمكائده، والذي يعمل على تنوير الناس وارشادهم، فالمستبد الظالم يرتعد ويخاف من العالم الذي تدرس في ((علوم الحياة مثل الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية والتاريخ المفصل والخطابة الأدبية، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول وتعرف الإنسان ما هي حقوقه وكم هو مغبون فيها، وكيف الطلب وكيف النوال وكيف الحفظ، وأخوف ما يخاف المستبد من أصحاب هذه العلوم المندفعين منهم لتعليم الناس بالخطابة أو الكتابة))⁸، هذه الصفات تنطبق على القائد والأمير عبد القادر الجزائري، فقد اختاره الناس وبايعوه لعلمه وقوة عزيمته وفروسيته وفطنته، ومن هذا المبدأ يوجه خطابه للمستعمر.

ويقول الأمير في رسالة أخرى: ((وفي سبيل اعتدائكم تمشون، والحروب قد تربينا عليها وتغدينا بلبانها، فنحن أهلها من المهد إلى اللحد، وحروبنا كما عملتم لا نرجع فيها إلى قانون يحصرها بل نحن فيها مخيرون مطلقون، نصرّفها كيفما شئنا وأما أنتم فقد بذلتم أموالكم وأفنيتم قوى شبابكم في تعلم طرقها ولا أخالكم تجهلون أنه جاء في كتب التواريخ القديمة

باطنا، فضعفنا قوة "ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا"¹².

نجد الأمير يتميز بالحكمة والمنطق في حوار، فلا أحد ينكر قوة فرنسا الضاربة في التاريخ، ومن الجهل تجاهل هذا الأمر، بل هي قوة وشجاعة تساعد الذات في فرض نفسها وفهم ما يحيط بها من متغيرات فيسهل عليها مواجهة الصعاب بطرق يحكمها العقل والمنطق، فحوار الأمير ((يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه: إذ الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين، وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين، فمعلوم أن العقل يتقلب بتقليب النظر في الأشياء، وأنه على قدر تقلبه يكون توسعه وتعمقه، والعقل الذي لا يتقلب ليس بعقل حي على الإطلاق))¹³، فالأمير على دراية تامة بقوة الخصم وهو لا يذخر جهدا في مواجهته، متوكلا في ذلك على الله تعالى الذي وعد عباده المستضعفين بالنصر ولوبعد حين.

((على أنه لا نعتقد أن نكون غاليين دائما بل الحروب دول وسجال مرة لنا ومرة لأعدائنا، لكن نفرح بالموت ولا نتأسف على الفوت، وليس لنا ملجأ إلا الخيل والسلاح، وصرصة الرصاص ألد إلينا من الماء البارد للعطشان وحممة الخيل أحب إلينا من كل جليل والتلين في الكلام شفاء للأسقام))¹⁴، نلمس قوة وعزيمة شخصية الأمير عبد القادر التي نشأت وترعرعت وسط بيئة عرفت بالعلم في مهدها وبالجهد في شبابها، هي الشخصية التي درست العدو، ولم تقلل من شأنه، لكنها تدرك حجم قوتها التي تستمدتها من قوة إيمانها بحقوقها الإنسانية التي لا تخفى على عاقل، فالأمير اتسم ب((ثقافة إسلامية لا تقتصر على المذهب العقلي لابن رشد وحسب، بل تضم أيضا الفلسفات الكبرى التي تربط الفكر بالعمل ربطا محكما، إنها سبل حياة وإنني أقصد بوجه خاص الإلماع إلى الفلسفة النبوية لدى السهروردي أو إلى تصوف الغزالي))¹⁵. هي شخصية الأمير التي تشبعت بتعاليم الإسلام وسارت على درب صوفية الغزالي، إنه يعمل على مخاطبة نفسية المرسل

أن العرب يبتهجون في معامل القتال، فلا يخطر في بالك أنهم يضجرون منها أو يتركونها من ذات أنفسهم، ما دامت الأقدار الإلهية مساعدة لهم))⁹.

يعتمد الأمير في خطابه على حقيقة عرفها العرب منذ القدم متمثلة في حيم للحرب والقتال، حتى أنها أصبحت رياضة وجب ممارستها، محاولا وضع المخاطب في منزلة المصدق ويحاصره بواقع الحال، فالشيء الذي يراه الجنيرال عظيما ومخيفا، يراه الأمير واجبا وترفيها، فهو قضاء وقدر وجب الايمان به انها مشيئة الله ولا راد لقضاء الله، ((والواقع أن الأمير عبد القادر أول من أثار الضمير الشعبي الجزائري، وبذر بذورا بقيت تنمو في القلوب وتمتد جذورها في الأرض الطيبة التي يجدر بالعالم الاسلامي أن يفخر بها، ويسمىها بحق أرض الشهداء))¹⁰.

إن الأمير عبد القادر يقر بحقيقة حرية الشعب الجزائري، التي لا يتنازل عنها مهما كان الثمن باهضا، كما يشير إلى مبدأ الإنسانية الذي يراه واجب القيام في كل حضارة، وقد أكد هذا العلامة عبد الحميد ابن باديس حين قال: ((وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ونبغض من يبغضه ويظلمه))¹¹.

3- الاعتراف بقوة الخصم

إن خبرة الأمير الطويلة في الحرب والحياة جعلته يدرك كنه الأمور وبأن ينزل كل نفس في منزلتها، لذا نراه يخاطب الجنيرال في حالة الغضب والثورة بخطاب يطابق الحال، وفي حال السلم وتبادل الآراء يختار ما يناسب المقام، يقول الأمير: ((وأما ما افتخرت به من قوة فرنسا وذكرتم عدم قدرتنا على دوام عداوتها فحق لها فخر العمدة لأنها قاعدة ملك راسخ تلبد من القواعد المدعمة بالبأس والشدة والغلظة على أعادتها، ومع هذا وان كنا ضعفاء في الظاهر فاننا قادرون بالله

الأمن بلا خدعة ولا حيلة ولا نقض لعهودنا ومواثيقنا، ويكون منا في جنابك فوق ما تظن من الحرمة والمودة))¹⁸.

يؤكد الأمير على مبدأ الصدق ويعمل على تقويته من خلال حواراته التخاطبية مع الجنيرال، مثبتا بذلك صدق كلامه وشريعة حربه، وهذا السلوك السامي هو ما رفع من درجة الأمير أثناء الحرب وبعدها، ثم يواصل خطابه الدال على الوفاء والصدق قائلا: ((وذلك من علامة محبتك فينا وصدق نيتك حيث صرت تحب بحبنا وتبغض ببغضنا وترضى برضانا وتسخط بسخطنا، هكذا يكون العهد والميثاق، ونحن كذلك لازلنا على الوفاء بالعقود والعهود وقضاء ما تريده وما يناسبك ويليق بك في برنا، وزدتنا بما تفضلت به من جودك وكرمك ببعث مائة مكحلة، نود منك ترسلها مع محبنا القايد الميلود مع ما نحتاجه من الرصاص الذي يقول لك عليه))¹⁹.

يقول الأمير في رسالة له إلى ملك فرنسا لويس فيليب بخصوص معاهدة تافنة ((إنك تطلب مني أن أتخلّى عن قبائل هم اخواني في الدين تلقيت منهم الوفاء والطاعة، وجاءوا بأنفسهم راضين يدفعون إلي ما فرضه القرآن من جزية وتضرعوا إلي وما زالوا بأن أكون عليهم أميرا وقد جلت بنفسي عبر مناطقهم والتي هي خارجة عن الحدود التي خصصتها المعاهدة لفرنسا وتريدون مني اليوم أن أطلب من هذه القبائل أن تخضع لهيمنة المسيحيين، أبدا واذا كان الفرنسيون اصدقائي، فليس لهم أن يطلبوا مني شيئا يحط من قيمتي لدي شعبي))²⁰.

يعمل الأمير على بناء مجتمع قوي يحترم فيه الانسان مهما كان جنسه وعقيدته، فقد احترم الفرنسي، ويريد أن يحترم الجزائري هذا قوام الحضارة التي يرومها الأمير المتمثلة في ((جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما ان يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره، فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه، بل ولا تستطيعان ذلك، وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه))²¹.

إليه محركا فيه قوام الانسانية، فالفرد راجح وخاسر لكن هدفه هو تحقيق غايته مهما كانت التضحيات جسيمة.

ويقول في رسالة أخرى معترفا بقوة وشجاعة العدو: ((لا نحقر جنس الفرنسيين ولا نذمهم بل نحسبهم رجالا ذوي شدة وقوة وبطش، نقر لهم بالشجاعة ومقاومة الحرب))¹⁶، قد نتساءل لماذا عمد الأمير لهذا التصريح؟ لكننا اذا أمعنا النظر في شخصية الأمير نجده يعطي لكل ذي حق حقه، وكلما كان الواحد عارفا بحقيقة عدوه سهل التعامل معه، كما أن الأمير يفتح باب الوصول إلى أمر حقيقي يناسب الطرفان. نلمس هذا الأسلوب العلمي الذي يعد ((أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجا إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري، لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهر ميزات هذا الأسلوب الوضوح، ولا بد أن يبدو فيه أثر القوة والجمال، وقوته في سطوع بيانه، ورصانة حججه، وجماله في سهولة عبارته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته وحسن تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام))¹⁷.

يحاول الأمير أن يكون واضحا ومستقيما في آرائه السياسية، وهذا ما تقتضيه الحالة الراهنة للوضع الغير مستقر الذي تعيشه البلاد، يريد أن يستخرج من العدو اعترافا بحقوق الجزائريين، هذا الشعب الأبى الذي لا يرضى بالمهانة والعبودية فهو بين أحد المنزلتين الشهادة أو الحرية.

4- ثقافة الصدق والوفاء (مبدأ السلام)

من أساسيات الحوار الناجح نجد آلية الصدق التي تنبئ عن وفاء المرسل، وقد مائل الأمير في ذلك سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام حينما كان يبرم عهوده مع المشركين، كما يؤكد الأمير على نبل أخلاقه مريدا بذلك نيل ثقة المرسل إليه من جهة، ومن جهة أخرى يريد أن يثبت أن كلامه صادق سواء في السلم أو الحرب يقول: ((ولا ترى بعينيك إلا ما يسرك من

5- مبدأ التسامح والرفق.

إن مبدأ التسامح من الأسس الأخلاقية التي تكون الشخصية الإنسانية، وتضمن لها التفاعل مع الآخر، ما يحقق لها استمرارية الحوار والتخاطب الإيجابي، كما يحقق لها ثبات نفسي وإرادة قوية، تحتم على الطرف الآخر وجوب احترامه والتحاور معه، وما رأيناه من تعامل القادة الفرنسيين مع الأمير لهو خير دليل على هذا السلوك الإنساني الراقي يقول الأمير مخاطبا الجنرال الفرنسي دي ميشيل: ((ويقع العقد بالكتابة منا ومنكم وينتفي ما كان بيننا من الشنآن والبغضاء وتعقبه المسرة والمودة، ولا تظن فينا إلا الخير فإننا لا نخلف الوعد ولا نخرج عن العهد))²².

إن مبدأ التسامح هو مبدأ مستوحى من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكل الأنبياء، بل هو منهاج الشرع الإسلامي ولثقافة التسامح بعد انساني هام يعمل على توطيد العلاقات وتقوية النزعة الإنسانية، فالبرغم من أن الإنسان في حرب إلا أنه هناك منطق ومكان للقيم ولطالما كان المسلم هو الرائد في ذلك، هذا ما يمنح للقائد الزعامة والعلو وقد يفوق في ذلك العدو وهو نصر حقيقي وعفو عند المقدرة.

ويقول في رسالة أخرى محاولا ابعاد الشكوك وتكذيب كلام الخونة والمفسدين، لأجل اصلاح ذات البين: ((وأنا ابتداء اعتمدنا أن لا نبالي بكلام الناس ولا نعتبر أقوال المفسدين في جانبك، كما أنت لا تلتفت للكلام في وجهتنا إذ يلزم من الصلح المحكوم به بيننا بالشروط التي من أفضلها حصول الألفة والراحة والمودة، بين الجيشين المتصالحين بحيث لا يبقى استماع للشياطين بأي وجه، وأن نكون معك في وفق رأيك وتديبرك وما تقصده يكون سهلا علينا ولا عبءة يقول القائلين المخلطين ويدل لأمانك وحسن نيتك مكتوب الدوائر الذي بعثته فالله يجازيك وهكذا تكون الكلمة والمحبة وتكمل المودة وتتم الهدنة ان شاء الله))²³.

يرى الأمير في شخصية الجنرال دي ميشيل ذلك الآخر الذي وجب التعامل معه بحرص شديد، فهو يرى في العدو المحنك الفطن، والصديق الذي جمعته معه ظروف الحياة السياسية التي فرضت عليه الحوار معه، هذا الأخير الذي يعود على الطرفين بفوائد تفيد وطنهما، كما أن الأمير رجل اللحظة الراهنة فقد أدرك حقيقة الموقف وأن السلاح وحده غير قادر على تحقيق أهدافه، فهو ينظر إلى الآخر على أنه ((أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، فالآخر قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا، وقد يكون صديقا وقد يكون عدوا، وقد يكون عدوا نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه))²⁴.

6- المحاور من موقف قوة (قوة الايمان وشرعية**المطلب).**

إن الأمير من الشخصيات التي تشبعت بالعلم الديني الإسلامي، وقد كان لها باع طويل فيه، ومن أدلة ذلك ايمانه القوي بالقضاء والقدر فكل شيء مسطر في لوح محفوظ، كما أنه يحارب لأجل نصرة الله تعالى ونصرة الوطن ومن هنا فالله ناصرهم كما جاء في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم))²⁵، فهو مدرك لقلة جيشه وعتاده، لكن ايمانه يحتم عليه القتال وهو متجه لاحدى الحسينين النصر أو الشهادة يقول في رسالته: ((لقد بلغني أنكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا بما يزيد على ثمانين ألف جندي زيادة على جنودكم السابقة فيها، فاعلموا أنني بعون الله تعالى وقوته لا أخشى كثرتكم ولا أهتم بقوتكم لعلني انكم لا تضروني بشيء إلا يشاء الله ولا يلحقني منكم إلا ما قدره الله علي، واني منذ أقامني الله في هذا الأمر وجعلني خصما لكم، ما قاتلتكم بجنود يزيد عددهم على ثلث عدد جنودكم التي تحاربوني بها، ومدة ملككم يتعدى مئات من السنين، وآلات الحربية قوية))²⁶.

يتمسك الأمير بعقيدته التي يراها حبل الله العاصم له من كل سوء، فهو موقن بقدره وقضائه، فان كانت الحرب هي

يوثق الأمير ارتباطه بالخلافة العثمانية لأنه يرى فيها قوة الأمة، كما أنه يستميل بذلك ولاية البلاد الحاكمين في قسنطينة والجزائر، ويرى من الجحود نكران خدمات الدولة في المنطقة ومحاربتها للجيوش الإسبانية والفرنسية، كما يريد تقوية روح الجهاد في القبائل، فهو يعمل على وضع قاعدة متينة لدولته، أساسها الإيمان بالوطن والإيمان بالحرية التي وجب استرجاعها من أيدي المستعمر المستبد، كما نراه يتنازل عن لقب السلطان أو الملك فهو ليس طالب ملك وإنما مجاهد في سبيل الله وخادم لشعبه بكل ما أوتي من قوة.

-خاتمة:

حينما نعود لتاريخ الجزائر تستذكر عظمة الرجال الذين بذلوا كل نفيس لأجل حفظ هذا الوطن، ومن أبرز هؤلاء نجد الأمير عبد القادر الجزائري، هذا الرجل الذي سار في درب ربما لم يكن يتوقعه، لكن شاءت الظروف إلا أن يكون أميراً ويواجه بذلك دولة تعتبر من أقوى الدول بما توفر لها من القوة المالية والثقافية والعسكرية، فقد واجه جنبرالات شهد لهم التاريخ بالفطنة والدهاء، واجههم بكل ثقة وعزم.

قد جمع الأمير في مواجهته للمستعمر الفرنسي بين القوة العسكرية والقوة الفكرية، وهما في الحقيقة يسيران في سبيل واحد، إلا أن الحكمة تستدعي أحيانا تغليب جانب على الآخر، وكثيرا ما يكون الحوار البناء حلا ومخرجا لكثير من النزاعات التي قد تراق فيها أنهار من الدماء، فقد حظي الأمير بفكر منفتح على كافة المتغيرات السياسية والدينية والعسكرية، فقد حاور بالحجة المقنعة والبرهان الساطع، عرف حجم عدوه فلم يتجاهله، وعرف قدر نفسه فأقدم بلا رهبة ولا مذلة.

كما تسليح بأقوى السمات الأخلاقية التي تجلت في التسامح والرفق، وهما صفتان لا يتوفران إلا في القائد العظيم الذي يتمتع بالبصيرة والفكر المنفتح على الآخر، الذي يدرك تماما ما لهذه الصفات من أثر قوي على العدو، وقد كانت هذه

السبيل الوحيد الذي ينال به المرء حريته وكرامته ويحفظ دينه، فمرحبا بها، هذه الروح الإيمانية هي الزاد الذي ينهل منه الأمير ويستزيد به قوة على قوة هي العقيدة الإسلامية التي تعتبر المحفز والدافع الأول للأمة ((هذه العقيدة التي لم يستطع الاستعمار قتلها على الرغم من جهود الاستعمار الفكري والروحي والاجتماعي والسياسي...هذه العقيدة التي تدعو معتنقها إلى الاستعلاء، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، كما تدعهم إلى المقاومة والكفاح لتحقيق هذا الاستعلاء، وعدم الخضوع للقاهرين، أيا كانت قوتهم المادية، لأن القوة المادية وحدها لا تخيف المؤمنين بالله، جبار السموات والأرض، القاهر فوق عباده أجمعين))²⁷.

إن الروح الإسلامية تحمل صاحبها على فتح باب النصر الذي قد يبدو للكثير بعيد المنال، لكنه للشخصية القوية التي تثق في الله تعالى وفي نفسها هو قريب، أن الأمير عبد القادر يستمد قوته من تاريخه وتراثه العربي والإسلامي فقد عرف عدة قادة وعلى رأسهم الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعده الصحابة رضوان الله عليهم، خاضوا المعارك ضد جيوش الروم والفرس وانتصروا باذن الله تعالى، فقد مشى الأمير على نهجهم وفوض أمره لله، وها هو ذا يذكر القائدين موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد أثناء مخاطبته للقبائل للجزائرية ((أيها السادة زعماء القبائل والعلماء أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زياد وموسى بن نصير وسيظل ارتباطنا وثيقا بدولة الخلافة العثمانية ارتباطا روحيا بنظامها الإسلامي، ولن نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا ولن تخرج دولتنا عن طاعة الخليفة، ولن نكون عوناً لأعدائها عليها، وكما قال والدي: هذا المنصب الذي اخترتموني له لن يكون متوارثاً وأرفض لقب سلطان أو ملك "حسي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" (التوبة آية 129) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))²⁸.

- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، اضراف وتقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق سورية.

• المقالات:

- حسين جمعة، ثقافة الحوار مع الآخر، مجلة جامعة دمشق المجلد 24، العدد الثالث +الرابع، 2008
- شاكر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر 1996.

الصفات ماثلة للتطبيق مع العدو الفرنسي ومع أبناء جلدته الذين خذلوه لأكثر مرة، فقد حارب الأمير بالسيف والقلم وأثبت للعالم أجمع أنه قبل كل شيء إنسان أحب وطنه وأحب الإنسان، حكم العقل في كل معاركه القتالية والفكرية، وأعطى مثلاً قويا في الحوار السلمي، هذا ما خلد اسمه مع العظماء.

• قائمة المراجع:

• الكتب:

- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط.1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في البلاغة والبيان والبدیع، ط.1، المكتبة العصرية بيروت 1999،
- بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط.03، دار النفائس، بيروت، 1986.
- عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنيرال دي مسشيل ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط.2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
- روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب عادل العوّا، ط.4، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 1999.
- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، بيروت.
- عبد الحميد ابن باديس، اثار ابن باديس، اعداد وتصنيف عمار الطالبي، ط.1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1388هـ 1968م.
- عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد، كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، 2011.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ، الطبعة 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان 2004.
- علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت لبنان.

• الهوامش:

- 1 - عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنيرال دي مسشيل ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، عالم المعرفة، الجزائر 2013، ص 47.
- 2 - حسين جمعة، ثقافة الحوار مع الآخر، مجلة جامعة دمشق المجلد 24، العدد الثالث +الرابع، 2008، ص 14.
- 3 - نفس المصدر، ص 85.
- 4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.1، 2004، بيروت لبنان، ص 46.
- 5 - المصدر نفسه، ص 63.
- 6 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط.1، 2006، ص 16.
- 7 - بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت ط.03، 1986، ص 175.
- 8 - عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد، كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، 2011، ص 36.
- 9 - المصدر نفسه، ص 175.
- 10 - عبد الحميد ابن باديس، اثار ابن باديس، اعداد وتصنيف عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط.1، 1388هـ 1968م، ص 16.
- 11 - المصدر نفسه، ج 2 ص 278.
- 12 - عبد الحميد عزوز، مراسلات الأمير عبد القادر، ص 53.
- 13 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط.2، 2000، الدار البيضاء، ص 20.
- 14 - المصدر نفسه، ص 54.
- 15 - روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب عادل العوّا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ط.4، 1999، ص 181.
- 16 - المصدر نفسه، ص 57.
- 17 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في البلاغة والبيان والبدیع، ط.1، 1999، المكتبة العصرية بيروت، ص 44.
- 18 - المصدر نفسه، ص 60.

-
- 19 - المصدر نفسه، ص 104.
- 20 - بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ص 172
- 21 - مالك بن نبي، مشكلات الحضارة مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، اضراف وتقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق سورية، ص 42.
- 22 - عبد الحميد زوزو، مراسلات الامير عبد القادر الجزائري، ص 57.
- 23 - المصدر نفسه، ص 94.
- 24 - شاكر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر 1996، ص 63.
- 25 - سورة محمد، الآية 8.
- 26 - بسام العسلي، الامير عبد القادر، ص 174.
- 27 - سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، بيروت، ص 9.
- 28 - علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة بيروت لبنان، ص 363.